

مدارس تلمسان الزيانية وموقف الفقهاء من نشاطها العلمي بين التأييد والمعارضة. Tlemcen schools during the Zayani era and scholars' position towards their scientific activity, between support and opposition.

ط.د. / قرمان محمد

مخبر الدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا-جامعة تيارت، جامعة مصطفى اسطمبولي- معسكر

البريد الإلكتروني: Kermane.mohamed@univ-mascara.dz

الملخص:

عُرِفَت الدولة الزيانية باهتمامها الكبير بالعلم والعلماء رغم التقهقر السياسي الذي أصابها، حيث تسابق سلاطينها في استقدام جهاذة العلم من مختلف أقطار المغرب الإسلامي؛ وقد بذلوا في سبيل ذلك ما أمكنهم من جهد؛ إلى حد التنافس مع حكام دول الجوار، وكتعظيم منهم لمقدمهم؛ واستثمارا لعلومهم؛ وتهيئةً للجو العلمي لهم؛ وضع سلاطين بني عبد الواد بتلمسان ست مدارس تجاوزت شهرتها الغرب الإسلامي، حيث توافد عليها طلبة العلم من كل طرف. وعلى الرغم من أهمية هذه المدارس في نشر العلوم وتكوين رجالات الفكر؛ إلا أنه ارتفعت نداءات من بعض فقهاء تلمسان تعارض مشروعية بنائها، وتنادي ببدعتها وخطورتها على قدسية التعليم؛ وسلامة انتقال السند.

ومن هذا المنطلق ارتأينا البحث في هذا الموضوع بدراسة عتوناها بـ: "مدارس تلمسان الزيانية وموقف الفقهاء من نشاطها العلمي بين التأييد والمعارضة" بهدف التعريف بهذه المنشآت العلمية المميزة، وعرض ومناقشة نظرة كل من الفقهاء المعارضين والمؤيدين لنشاطاتها.

الكلمات المفتاحية: المدارس؛ الفقهاء؛ الدولة الزيانية؛ تلمسان؛ المنشآت العلمية.

Abstract

The Zayani state has been known for its great interest in science and scientists despite its political regression that affected it at that time, as its sultans rushed to bring top scientists from various countries from the Islamic Maghreb. They did their best to fulfill their purpose to the extent of competing with the rulers of the neighboring countries. As a tribute to these scientists for their great contribution and investment of their knowledge; and to create a scientific atmosphere for them, the Sultans of Banu Zeyan in Tlemcen built six schools whose fame exceeded horizons. Science students from all parts of the Islamic West came to these schools to study and learn. Despite the importance of these schools in spreading science and training students to become men of thoughts and science, there were calls from some scholars in Tlemcen opposing the legitimacy of the establishment of these schools, calling for their inventiveness and danger to learning and the safety of the transmission of the Sanad.

Based on these facts, we decided to make research on this topic with a scientific intervention under the title: «Tlemcen schools during the Zayani era and scholars' position towards their scientific activity, between support and opposition», with the aim of introducing these distinguished educational and scientific facilities, and discussing the different views of both opposition scholars and supporters of their establishment and scientific activities.

Key words: schools; scholars; Zayani state; Tlemcen; scientific facilities.

مقدمة:

ظهرت الحركة العلمية بالمغرب الأوسط في عهد الدولة الزيانية بمظهر قوي، حيث عُرف بكثرة العلماء والتأليف والرحلة العلمية، فضلا عن تنوع المؤسسات العلمية كالمساجد والزوايا والكتاتيب، وضمن هذه المنشآت برزت مؤسسة حديثة النشأة تسمى "المدارس" التي نافست المساجد في كثرة إقبال طلبة العلم عليها، ويعود الفضل في إنشائها إلى سلاطين بني عبد الواد المشهورين بحبهم للعلم وأهله، حيث سخروا كل ما أمكنهم في بنائها، وإن تباينت دوافعهم واختلفت أهدافهم؛ إلا أنّ هذه المدارس كانت لها أهمية عظيمة في تنشيط الحركة العلمية بتلمسان على عهد الزيانيين، التي طالما أيدّ نشاطها بعض فقهاء المدينة كابن مرزوق الخطيب، في حين تنبّه البعض الآخر كالأبلي لخطورتها، فلذلك رفعوا راية المعارضة.

ومؤكّد أنّ موضوع المدارس في العهد الزياني وموقف الفقهاء منه يكتسي أهمية كبيرة في تاريخ المغرب الإسلامي عامة، وتاريخ الحركة العلمية بالمغرب الأوسط بشكل خاص، ولذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية تناول هذه الدراسة بناء على إشكالية تتمحور حول أهمية المدارس الزيانية في الحركة العلمية وموقف الفقهاء منها، وللإجابة على هذه السؤال المركزي ينبغي الإجابة على التساؤلات الفرعية من قبيل: ما المعني اللغوي والاصطلاحي للفظ "المدرسة"؟ وكيف ومتى أنشئت أول مرة؟ وما هي أبرز العوامل والظروف التي ساعدت على ظهورها بالمغرب الأوسط؟ وما أبرز هذه المدارس؟ وكيف كان موقف الفقهاء منها؟ وكيف برروا مواقفهم المتباينة؟ وغيرها.

ارتأينا معالجة هذا الموضوع من خلال الخطة الآتية، متبعين المنهج الوصفي التاريخي تارة؛ والتحليلي والمقارن تارة أخرى، لتتناسب مع طبيعة هذه الدراسة:

1- المدرسة: الدلالة اللغوية والاصطلاحية والنشأة.

2- عوامل وظروف نشأة المدارس بالدولة الزيانية.

3- مدارس تلمسان في العهد الزياني.

4- موقف فقهاء تلمسان من المدارس.

1. المدرسة: الدلالة اللغوية والاصطلاحية والنشأة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور (ت. 711هـ/1313م)؛ أن كلمة "مدرسة" مشتقة من الفعل "درس" أي "درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة ودارسه... ودرستُ الكتاب أدرسه درسا؛ أي ذلّلته بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه علي" ¹، "والمدرسة بفتح الميم: موضع الدرس" ²، أما عن أصل لفظ "المدرسة" فمؤكد أنها دخيلة على لغة العرب، فهي إما عبرانية أو آرامية، إذ أن العرب المسلمين يطلقون على هذه المؤسسة بلفظ "البيت" الذي يُدرس فيه ³.

¹ ابن منظور الإفريقي، محمد المصري، 2014م، ص ص. 79، 80.

² الفيومي، أحمد المقرئ، د.ت، ص. 192.

³ عمارة، فاطمة الزهراء، 2009م-2010م، ص. 10.

كما نجد أن هذا المصطلح يُطلق أيضا على التيارات الفكرية والمذاهب الفقهية التي يمثلها جماعة تشترك في فكر أو منهج أو معتقد معين، يتبعون فيه رأي مؤسس صاحب التيار أو المذهب، كما هو للمذهب المالكي وغيره، فيقال: المدرسة الفقهية المالكية، والشافعية، ونحو ذلك⁴.

أما في المنظور اصطلاحى فهي: عبارة عن مباني عمومية وظيفتها تدريس العلوم الإنسانية والشرعية بشكل خاص، وجاء تطورها مروراً بثلاثة مراحل: التعليم في المسجد كمرحلة أولى إذا جانب دوره في أداء الصلاة، ثم مرحلة ظهور الرباطات - كما يسميه المغاربة - أو الخانات عند المشاركة المخصصة لإيواء الطلبة الأجانب، وأخير مرحلة المدرسة بكل ما تحمله العبارة من معنى، وبالتالي فالمدرسة إذا تجمع بين ثلاث وظائف رئيسية: إقامة الصلاة والسكن والتعليم⁵.

تؤكد المصادر التاريخية أن نيسابور⁶ هي الموطن الأول لظهور المدارس خلال القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي، إذ أنها لم تكن معروفة قبل ذلك، حيث أورد المقرئزي(ت: 845هـ/1441م) في هذا الصدد قائلاً: "والمدارس مما حدث في الإسلام ولم تكن معروفة في زمن الصحابة ولا التابعين، وإنما حدث عملها في المائة الرابعة من سنة الهجرة، وأول من حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور، فبُنيت بها المدرسة البيهقية"⁷،⁸ هذا علاوة عن مدرسة ابن فورك والمدرسة السعدية وغيرها من باكورة المدارس الإسلامية⁹.

فرغم أسبقية المدارس الخراسانية -على كثرة عددها واختلاف مآربها- في الظهور إلا أنها لم تتل الشهرة التي نالتها المدرسة النظامية، حيث اتفقت معظم المصادر أن الذي أنشأها هو الوزير السلجوقي نظام الملك¹⁰ سنة 457هـ/1064م ببغداد¹¹، ثم توسعت فظهرت في البصرة والموصل وغيرها.

⁴ - المصري، مبروك، 2004م، ص. 103.

⁵ - لعرج، عبد العزيز، 2001م، ص. 116.

⁶ - نيسابور مدينة مشهورة من أحسن مدن خراسان، تقع على أرض سهلة وهي مقترشة البناء، بينها وبين طوس ثلاثة مراحل، وبينها وبين كل من مرو وجرجان ودمغان عشر مراحل، وتسمى أيضا نساور. للمزيد يراجع: أبي الفداء، عماد الدين إسماعيل، 1840م، ص. 451.

⁷ - تُنسب إلى الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، الذي وُلد ببلدة بيهق بخراسان، صاحب التأليف الكثيرة، اُشتهر بتقدمه في علم الحديث والفقه والأصول، للمزيد يراجع: ابن خلكان، أبو العباس أحمد، 1994م، ص. 124.

⁸ - المقرئزي، تقي الدين أحمد، 1998م، ص. 436.

⁹ - لعرج، عبد العزيز، 2001م، ص ص. 116-117.

¹⁰ - نظام الملك: هو أبو الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي الشافعي، من مدينة نوقان من أحواز طوس، تعلم بها وبنيسابور، تولى منصب الكتابة لابن شاذان والي مدينة بلخ، ثم أتخذ داود بن ميكائيل السلجوقي وزيراً له سنة 455هـ/1062م، ثم السلطان ألب أرسلان وابنه ملك شاه مدة ثلاثون سنة، عُرف بالخبرة السياسية والإدارية وحسن التدبير، توفي عام 485هـ/1095م. يراجع: ابن خلكان، أبو العباس أحمد، 1994م، ص. 128 وما بعدها.

¹¹ - الطرطوشي، أبو بكر محمد، 1994م، ص. 516.

كما عمل هذا الوزير على تأسيس نظام تحت رعاية الدولة العباسية، يتكفل بمستلزمات السكن للأساتذة والطلبة وتوفير العيش الكريم لهم¹²، وتخصيص مرتبات شهرية وأوقاف تُصرف في ذلك باستقلالية تامة عن المساجد التي احتكرت أكثر هذه الخدمات¹³، وكأن المدارس جاءت لتخفيف الضغط عن المسجد للتفرغ لدورها التعبدية الأساس.

ثم أخذت المدارس بعد المدرسة النظامية في انتشار في بلاد الشام ومصر، ثم انتقلت إلى المغرب الإسلامي مطلع القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، فأسس أبو زكرياء السلطان الحفصي¹⁴ مدرسة الشّماعين كما أكد ابن الشّماع (كان حيا سنة 861هـ/ 1456م) -منفردا بروايته- سنة 633هـ/ 1235م كأول مدرسة بالمغرب الأدنى¹⁵، ثم تبعه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق؛ الذي أنشأ مدرسة الصّقارين عام 670هـ/ 1271م¹⁶، أمّا بالمغرب الأوسط فتأخر ظهورها إلى النصف الأول من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي في عهد سلاطين بني زيان، أي بما يزيد عن نصف قرن عن جيرانهم الحفصيين والمرينيين، وبقرنين من الزمن عن ظهورها بالمشرق¹⁷.

2- عوامل وظروف نشأة المدارس بالدولة الزيانية:

لا شك أن تأسيس سلاطين بني زيان للمدارس لم يكن وليد الصدفة؛ وإنما ساهمت في ذلك عدّة عوامل تحكّمت فيها على العموم طموحات السلاطين، وارتبط بعضها بالميول العلمي، ومنها ما فرضته الضرورة التوسعية العمرانية للمدينة، ومنها ما يتعلق بالسياسة العامة للدولة وحاجتها إلى عمال مخلصين تشرف على تكوينهم بشكل رسمي؛ ونحن ها هنا سنحاول تلخيص هذه العوامل في النقاط الآتية:

أ- عناية سلاطين بني زيان بالعلم والعلماء:

رغم تنافس ملوك الدولة الزيانية الطاحن على السلطة فيما بينهم؛ وانشغالهم بالحروب مع دول الجوار؛ إلى جانب مواجهة الفتن الداخلية؛ فإنهم لم يُعَدِّمُوا من شرف تشجيع العلماء على التدريس والتأليف والتناظر في مسائل العلم، وكان هذا الاهتمام منهم بالعلم يتجلى من خلال بنائهم للمدارس التي ساهمت بشكل كبير

¹² - السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، 1964م، ص. 309.

¹³ - رزيوي، زينب، 2015م-2016م، ص. 112.

¹⁴ - أبو زكرياء الأول يحيى بن أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص السلطان الحفصي الأول، وُلِدَ بمراكش سنة 599هـ/ 1203م، وبُوع سنة 625هـ/ 1228م، توفي ببونة سنة 647هـ/ 1250م. للمزيد عن حياته بالتفصيل يراجع: ابن

الشّماع، أبو عبد الله محمد، 1984م، ص. ص. 54-61.

¹⁵ - ابن الشّماع، أبو عبد الله محمد، 1984م، ص. 56.

¹⁶ - الباديسي، عبد الحق، 1993م، ص. 111.

¹⁷ - خطيف، صابرة، 2011م، ص. 343.

في تفعيل الحركة العلمية والثقافية في عصرهم، فصارت تلمسان حاضرة علم تنافس بقوة حواضر الجوار المشهورة آنذاك كغرناطة وفاس وتونس وبجاية¹⁸.

ولأن العلماء نبّراس مؤسسات العلم؛ فإن سلاطين بني زيان لم يتوانوا لحظة في استقدامهم، إذ أنفقوا المال والجهد الكبيرين في سبيل ذلك، إلى الحدّ التنافس مع ملوك بني حفص وبني مرين، وفي هذا قال الوزان (ت. 957هـ/1550م): "خمس مدارس حسنة، جيدة البناء، مُزدانة بالفسيفساء ... شيد بعضها ملوك بني زيان وبعضها ملوك فاس"¹⁹ كتكريم لهؤلاء العلماء واحتقالا بمقدمهم ورغبة ضمنية غير صريحة في احتوائهم والاستئثار بهم.

ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: يغمراسن بن زيان المؤسس الأول²⁰ (633هـ-1235م/ 681هـ-1282م)، الذي - وإن لم يهتدي لبناء مدرسة إلا أنه- كان من أهل العلم، إذ أظهر رغبة وهمّة عالية فيه؛ يبحث عن العلماء حيثما كانوا ويستقدمهم إلى بلده ويقابلهم بما هم أهل له، مثل العالم إبراهيم بن يخلف التنسي²¹ (ت. 670هـ/1271م) الذي أكرم مثواه فأقطعته الأراضي الواسعة، كما وفد عليه أيضا أبو بكر بن الخطاب المرسي²² (ت. 636هـ/1238م) وجعله رئيس ديوان الإنشاء²³، واستمر خلفه من بعده أبو سعيد عثمان الأول (681هـ-1281م / 703هـ-1303م) بهذا الاهتمام بالعلم والعلماء، حيث احتفظ بفقهاء بلاط أبيه وأضاف إليهم الشاعر الصوفي والكاتب البار محمد بن خميس التلمساني²⁴ (ت. 708هـ/1308م).

18 - بن عزوز، محمد، 2019م، ص ص. 23، 24.

19 - الوزان الفاسي، الحسن، 1983م، ص. 19.

20 - يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد بن عبد الوادي، يكنى بأبي يحيى، ولد عام 653هـ/1255م، أول سلاطين بني زيان بتلمسان، ببيع عام 633هـ/1235م، محا آثار الدولة الموحدين عام 646هـ/1248م، كان كريما شجاعا فاضلا حلما متواضعا، يؤثر الصالحين والعلماء ويجالسهم كثيرا. يراجع: ابن خلدون، يحيى، 1980، ج1، ص. ص. 204-نويهض، عادل، 2017م، ص ص. 470، 471.

21 - أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي، من العلماء الأولياء، كبير القدر، اشتهر بالزهد والورع وبالكرامات، كانت له مكانة عند الملوك، ألف في العلم كثيرا، توفي في حدود سنة 680هـ-1281م، وقبره بالعباد قرب تلمسان. يراجع: ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 114.

22- أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي، نزيل تلمسان، من أهل مرسية، تعلم عن ابن جهور وابن محرز وابن عُميرة وغيرهم، كان من أبرع الكتّاب خطا وأدبا وشعرا، ومعرفة بأصول الفقه، استعمله يغمراسن بن زيان ككاتب له، توفي سنة 636هـ/1238م. يراجع: ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 129.

23 - التنسي، محمد، 2011م، ص. 127.

24 - أبي عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني، ولد سنة 560هـ/1251م، شاعر المائة السابعة، مات بغرناطة سنة 708هـ/1309م. يراجع: ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 109.

كما استقدم أبو حمو موسى الأول²⁵ (701هـ-1308م/708هـ-1318م) الفقيهين ابني الإمام: أبي موسى عيسى (ت: 749هـ/1348م) وأبي زيد عبد الرحمان²⁶ (ت: 741هـ/1340م) من البرشك²⁷، فأجزل لهما العطاء وأكرمهما، وبنى لهما مدرسة²⁸، وكذلك فعل أبو تاشفين الأول (718هـ-1318م/737هـ-1337م)²⁹ الذي أوفد الشيخ أبي موسى المشذالي³⁰ (ت: 745هـ/1344م) حيث ولّاه التدريس بالمدرسة التاشفينية³¹. كما حظي العلماء والطلبة بعطف وتشجيع السلطان أبي حمو الثاني³² (760هـ-1359م/791هـ-1388م) لما أمتاز به من إلمام بالعلوم واستعداد للمساهمة في النشاط الأدبي ونظم الشعر والمناظرة فيه³³.

²⁵ - أبو حمو موسى الأول بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، رابع ملوك بني عبد الواد، بويع بعد وفاة أخيه محمد سنة 707هـ/1307م، يقول ابن خلدون فيه: "كان صارماً حازماً داهية قوي الشكيمة صعب العريكة شرس الأخلاق مفرط الذكاء والحدة"، قُتل عام 718هـ/1318م. يراجع: نويهض، عادل، 1917م، ص. 165.

²⁶ - هما الأخوين: عبد الرحمان أبو زيد وعيسى أبو موسى ابنا محمد بن عبد الله بن الإمام البرشكيان، حلاهما ابن مريم بـ "التلمسانيان، العالمان، الراسخان، الشامخان، الحافظان" من أهل بلدة برشك من أحواز تنس، كانت لهما رحلة مشرقية في حدود 720هـ/1320م، فلحقا عدد من كبار العلماء مثل علاء الدين القونوي والجلال القزويني وابن تيمية...، وذكر المقرئ الجد (ت: 759هـ/1357م) أنهما وصلا درجة الاجتهاد، ومن تلاميذهما: الشريف التلمساني، المقرئ الجد، سعيد العقباني، ابن مرزوق الخطيب وآخرون كثير، توفي عيسى سنة 749هـ/1348م ببرشك مطعوناً، أما عبد الرحمان فتوفي عام 741هـ/1340م على الأرجح. يراجع: ابن مريم الملبتي التلمساني، أبو عبد الله محمد، 2014م، ص ص. 248-255.

²⁷ - البرشك هي بلدة صغيرة تقع على تل، مسورة بسور من تراب، تقع على ضفة البحر، لها مياه عيون عذبة، تبعد عن شرشال عشرون ميلاً، وعن تنس ستة وثلاثون ميلاً، وبها فواكه ومزارع حنطة، لمزيد من التفاصيل يراجع: الإدريسي، أبو عبد الله محمد، 2002م، ص. ص. 257-258.

²⁸ - سيتم التعريف بها لاحقاً.

²⁹ - أبو تاشفين عبد الرحمان الأول بن أبي حمو موسى بن أبي سعيد بن أبي يحيى يغمراسن، وُلد سنة 692هـ/1292م، بويع سنة 708هـ/1308م، قال يحيى بن خلدون: "كان فاضلاً حميد السَّير، رحب الجنب، عظيم الخلق جميل الخلق، في أيامه تحضرت الدولة، وأخذ الملك زخرفه وترَّين". يراجع ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 215.

³⁰ - أبو موسى عمران بن موسى بن يوسف المشذالي، الحافظ النحوي المنطقي الأصولي الفقيه المالكي، نشأ ببجاية، ثم استقدمه أبو تاشفين سلطان بني زيان، الذي ولّاه التدريس بالمدرسة التاشفينية، فبقي بها حتى مات عام 745هـ/1344م. يراجع: نويهض، عادل، 2017م، ص. 401.

³¹ - ستعرف لاحقاً.

³² - أبو حمو موسى الثاني بن أبي يعقوب يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن العبد الوادي، وُلد بالأندلس في مدينة غرناطة، سنة 723هـ/1323م، نشأ وتعلم بتلمسان، تولى الحكم عام 760هـ/1358م، وقتل على يد ابنه أبي تاشفين الثاني ناحية غليزان حالياً سنة 791هـ/1388م. للمزيد عن تفاصيل حياته يراجع: حاجيات، عبد الحميد، 1982م، ص ص. 69-155.

³³ - حاجيات، عبد الحميد، 1982م، ص. 159.

ويدخل ضمن هؤلاء السلاطين من بني زيان - أصحاب الديار - أيضا بعض ملوك بني مرين بصفتهم حكموا تلمسان ردحا من الزمن، خاصة السلطان أبو الحسن (710هـ-1310م/749هـ-1348م) الذي كان مشجعا للعلم، إذ حرص على تزيين مجلسه بجهازة العلم، فذكر أحد العلماء المقربين منه قائلا: "فكان رضي الله عنه أبرّ الناس بأهل العلم وأعرفهم بقدرهم، استخلصهم لنفسه وجمعهم من سائر بلاده في حضرته، إذ سمع بمن له رسوخ قدم في العلم أقدمه على حضرته، وجعله من خواص أهل مجلسه وأجرى عليهم الجرايات التي تكفيهم حضرا وسفرا"³⁴، ولما دخل تلمسان بعد الحصار قام ببناء "مدرسة بالعباد ظاهر تلمسان وحذاء الجامع"³⁵، وكذلك فعل خليفته أبو عنان (749هـ-1348م/759هـ-1357م) الذي أنشأ مدرسة سيدي الحلوي سنة 754هـ/1353م³⁶.

ب-الأمن والاستقرار السياسي:

لا شك أنّ الاستقرار السياسي يعدّ عامل محفّز وظرف مناسب لأيّ بناء حضاري خاصة تعلم العلم وتشجيع العمران، لذلك نجد معظم دور العلم تُبنى في فترات الأمن والدّعة السياسية، فأول مدرسة زيانية بُنيت في عهد أبي حمو موسى الأول وهي فترة استقرار وتوسع جغرافي وازدهار عمراني، عكس الفترات السابقة التي شهدت فيها الدولة مراحل قاسية مرّدها إلى الحصارات المرينية المتكرّرة³⁷.

كما ينطبق ذات الأمر على عهد خليفته أبي تاشفين الذي شيّد المدرسة التاشفينية، إذ عُرفت فترة حكمه بالتوسع الجغرافي نحو الشرق؛ فسيطر على بجاية وقسنطينة والحاضرة تونس الحفصية³⁸، وكذلك عهد السلطان أبي حمو الثاني الذي بنى مدرسته سنة 765هـ/1363م؛ في فترة تمثل نهاية الاحتلال المريني الثاني، وعودة الحياة السياسية من جديد إلى تلمسان الزيانية، وقلة الاعتداءات المرينية التي اضطرت له لتلك الالتجاءات أو الخرجات إلى الصحراء كما يسمّيها المؤرخ يحيى بن خلدون³⁹.

ولما احتلّ السلطان أبو الحسن المريني تلمسان سنة 737هـ/1337م عمد إلى بناء جامع سيدي أبي مدين والمدرسة ودارا لإقامته⁴⁰؛ ولم يكن ليتحقق هذا إلاّ بعد شعوره بالأمان واستسلام بني زيان لحكمه. يُلاحظ بناء على ما سبق؛ أن بناء مدارس تلمسان سواء في العهد حكام بني زيان أو عهد من حكمها من سلاطين بني مرين؛ ما كان ليكون لو لا فترات الاستقرار السياسي المتقطع الذي عرفته تلمسان.

³⁴ - ابن مرزوق الخطيب، محمد، 2011م، ص. 261.

³⁵ - نفسه، ص. 406.

³⁶ - بن عزوز، محمد، 2019م، ص. 30.

³⁷ - خطيف، صابرة، 2011م، ص. 348.

³⁸ - ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص ص. 216، 218.

³⁹ - عبدلي، لخضر، 2011م، ص ص. 109، 110.

⁴⁰ - نفسه، ص. 95.

ت-التوسع والنهضة العمرانية:

يذكر عبد الرحمان بن خلدون (ت. 808هـ/1405م) ما مفاده أنّ رواج العلوم وازدهارها مرتبط ارتباطاً وثيقاً بكثرة العمران، حيث عنّون فصلاً كاملاً في مقدمته بـ: "العلوم إنّما تكثر حيث يكثر العمران وتعمم الحضارة..."⁴¹ وعلى أساس أن تعلم العلم من جملة الصنائع، فعلى "نسبة عمرانها في الكثرة والقلة والحضارة والترّف، تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة"⁴² وهذا ما ينطبق فعلاً على ما شهدته العاصمة الزيانية تلمسان التي عرفت نهضة عمرانية قويّة بفضل سلاطينها الذين حرصوا على توسعتها وتخليد عمرانها وترميم مبانيها بعد كل حرب، فشيّدوا المؤسسات والمرافق العامة والأسوار والقصور والمساجد، والدور التي قدّرها أحد جغرافيّ القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي بثلاثة عشر ألف دار⁴³.

ومن بين السلاطين الذين اهتموا بالعمران أبي حمو موسى الأول الذي يذكره التنسي (ت. 899هـ/1493م) بصاحب آثار جميلة، حيث وبعدما أصلح ما خرب من تلمسان "بنى الأسوار والستائر"⁴⁴، وأيضاً مدرسة كمُنشأة محدثة لم يعرفها المغرب الأوسط سابقاً، في حين كان عبد الرحمان أبو تاشفين حريصاً على مواصلة النشاط العمراني الذي بدأه والده، لما عُرف عنه الولع الكبير بالبناء والإبداع في الزخرفة والفنّ المعماري والتنويع فيه من: تشيّد القصور والمصانع واغتراس المنتزهات، ويبالغ يحيى بن خلدون (ت. 780هـ/1378م) في وصف هذا قائلاً: "خلف آثاراً لم تكن قبله لملك، ولا عُرف لها بمشارك الأرض ومغاربها نظير كدار الملك ودار السرور..."⁴⁶.

كما اهتم أيضاً أبو الحسن المريني بالعمارة بتلمسان أثناء فترة حكمه لها، فيخبرنا ابن مرزوق العجيسي (ت. 780هـ/1378م) عن همّته العالية وانفاقه الكبير في البناء العمراني الثقافي، فتذكر على سبيل التمثيل لا الحصر أنشأه لجامع القصبة ومسجد عند باب الحجاز وفي هنين وغيرها⁴⁷ وبنائه جامع "خداء ضريح أبي مدين شعيب الموصوف بالحسن والوثاقة، أنفق فيه مقداراً جسيماً ومالاً عظيماً"⁴⁸، فضلاً عن مدرسة قرب هذا الجامع اشتهرت بفنّها المعماري الفريد وزخرفتها المميّزة⁴⁹. وكذلك شابه السلطان أبو عنان المريني

⁴¹ - ابن خلدون، عبد الرحمان، 2010م، ص. 481.

⁴² - نفسه.

⁴³ - الوزان الفاسي، الحسن، 1983م، ص. 19.

⁴⁴ - الستائر: حائط قصير دون سور المدينة، ويسمى أيضاً بالتفصيل. يراجع: التنسي، محمّد، 2011م، ص. 135.

⁴⁵ - التنسي، محمّد، 2011م، ص. 135.

⁴⁶ - ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 216.

⁴⁷ - ابن مرزوق الخطيب، محمّد، 2011م، ص ص. 402، 403.

⁴⁸ - نفسه، ص. 403.

⁴⁹ - بن عزوز، محمّد، 2019م، ص ص. 27، 30.

أباه عندما أنشأ مدرسة ومسجد وزاوية بالقرب من ضريح الصوفي أبو عبد الله الحلوّي؛ تعجب الرحالة ابن الحاج النميري (توفي بعد 774هـ/1372م) كثيرا من جمالها حينما مرّ بها⁵⁰.

وزبدة القول؛ أن التطور العمراني الذي شهدته مدينة تلمسان بخاصة في العهد السلطانيّين الزيانيين أبو حمو موسى الأول وابنه أبو تاشفين، والمرينيين أبو الحسن المريني وخليفته أبو عنان؛ قد أعطى للتعليم فرصة للظهور بمظهر اللائق، وذلك من خلال إنشاء المدارس.

ث- المنافسة مع دول الجوار والولع بالتقليد:

لا يمكن استبعاد أن حدث ظهور المدارس بالغرب الإسلامي كان تقليدا للمشاركة، كما جاءت مدارس الشام ومصر واليمن كتقليد أيضا لمدارس بغداد- كما قدمنا في الباب الأول- ويدخل هذا ضمن عامل التأثير والتأثر الذي لا بد منه في عامل التطور الحضاري، كما هو الشأن في ظهور المدن والنظم السياسية والإدارية وغيره، فلذلك كان عامل التقليد من أهم الظروف التي ساعدت على ظهور المدارس بالغرب الإسلامي أجمع.

ساهم العداء الشديد بين دول المغرب الإسلامي الثلاث الوارثة لتركّة الموحّدين، في خلق الرغبة عند كل طرف منهم في التميّيز والتسابق في تشييد المدارس بكل إبداع وجمال وغيرها من المنشآت العمرانية، بصفتها مظهر من مظاهر المُلْك، فمثلا قام أبو تاشفين بتقليد المستنصر الحفصي 647 هـ-1249م/ 675 هـ-1277م،⁵¹ بإنشاء رياض أبي فهر⁵²، كما صنعت خزانة المنجانية⁵³ بتلمسان كتقليد لبني مرين، وذلك باستقدام صانعها ابن الفحام (القرن السابع الهجري/الثالث عشر ميلادي)⁵⁴.

أما بناء المدارس بتلمسان ودور عامل التقليد في ذلك؛ فقد أكّده السلطان أبو حمو موسى الثاني في كتابه "واسطة السلوك..."⁵⁵ وهو يوصي وليّ عهده أبا تاشفين بتقليد الوزير نظام المُلْك، موضحا له كيفية اهتمامه ببناء دُور العلم والرباطات وانفاقه على طلبة العلم، فظهر أبو حمو كأنّه متأثرا بهذا الوزير.

⁵⁰- ابن الحاج النميري، إبراهيم، 1990م، ص. 488.

⁵¹- أبو عبد الله محمد المستنصر بالله ابن أبي زكرياء بن أبي محمد بن أبي حفص، ببيع سنة 647هـ/1248م؛ يراجع سيرته: ابن القنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد، 2015م، ص. 149 وما بعدها.

⁵²- بناء أبو تاشفين لرياض أبو فهر ذكره: ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 216؛ التنسي، محمد، 2011م، ص.

140؛ أما رياض الفهر الذي بناه المستنصر الحفصي فذكره: ابن القنفذ، أبو العباس أحمد، 2015م، ص. 149.

⁵³ - المنجانية أو المنكانة أو المنقانة، وهي ساعة متطورة التي أنشأها العالم الهندسي عليّ بن الفحام. يراجع: ابن خلدون، يحيى، 1980، ج. 1، ص. 119؛ التنسي، محمد، 2011م، ص ص. 162-163.

⁵⁴- ابن الفحام أبي الحسن علي بن أحمد، أعرف أهل زمانه بفنون التعاليم، ظهرت على يده أعمال هندسية كالمنجانية المشهورة بالمغرب. ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 119.

⁵⁵- أبو حمو موسى الزياني، د.ت، ص ص. 164، 165، 166.

فقد سارع سلاطين بني زيان إلى تقليد جيرانهم بني مرين خاصة في نظام تخطيط العمراني للمدارس حيث شيدوها قرب الأضرحة والمساجد والزوايا، كما فعل أبو حمو الثاني⁵⁶ على نفس النسق المعتاد عند المرينيين، كما لا يفوتنا التنويه بأن حكام بني عبد الواد حرصوا على بناء المدارس بحجة توفير الجو العلمي للعلماء الكبار الذي أرادوا احتوائهم، قبل أن يسبقهم إليهم سلاطين دول الجوار، كما حدث مع الفقيه الشريف التلمساني (ت: 771هـ/1369م)⁵⁷ الذي استدعاه السلطان أبو حمو الثاني وهو يومئذ بفاس، فتلقاه براجلته وأصهر له ابنته وبنى له مدرسة، بل سمح بدفنه عند قبر والده أبي يعقوب تقديراً له وتبركا به⁵⁸، وأيضاً فعل سابقوه كأبو حمو موسى الأول الذي أغتبط كثيراً بمقدم ابني الإمام؛ إذ اختطّ لهما مدرسة ومسجد ومنزلين سنة 710هـ/1310م⁵⁹.

من الواضح أن سلاطين بني زيان كانوا من خلال بنائهم للمدارس أنهم كانوا مقلّدين لجيرانهم غير مبدعين، إلا أن عامل التنافس كان له الفضل الأكبر في ازدهار الحركة العلمية بالمغرب الإسلامي.

3- مدارس تلمسان في العهد الزياني:

لقد ترك ملوك تلمسان عدد معتبرا من المدارس خلّدت ذكراهم، وقدّر عددها أحد جغرافيّ المائة العاشرة/السادس عشر للميلاد بخمسة مدارس فقال: "وتوجد بتلمسان مساجد... وخمس مدارس حسنة... شيد بعضها ملوك تلمسان، وبعضها ملوك فاس"⁶⁰، إضافة لبعض المدارس غير مشهورة جاء ذكرها في بعض المصادر بروايات منفردة، ونحن هنا سنحاول عرض تأسيس ونشاط هذه المدارس وفق التصاعد الزمني.

أ- مدرسة أولاد الإمام (المدرسة القديمة):

تُصنّف هذه المدرسة كأول مدرسة ظهورا بالمغرب الأوسط، وكان ذلك في عهد السلطان أبي حمو موسى الأول؛ الذي أمر ببنائها في تاريخ مجهول ما بين سنتي 707هـ/1307م و718هـ/1318م⁶¹، ناحية المطمر داخل باب كشوطة⁶² الجهة الغربية من المدينة عند باب سيدي بوجمعة حالياً⁶³، بينما ينفرد عبد

⁵⁶ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009-2010م، ص. 26.

⁵⁷ - محمد بن أحمد بن علي بن يحيى الحسيني، أبو عبد الله العلوي - نسبة إلى قرية علوين من أعمال تلمسان - عُرف بالشريف التلمساني، وهو من أعيان المالكية، انتهت إليه إمامتهم في المغرب، نشأ بتلمسان وأخذ العلم عن مشايخها مثل ابني الإمام والآبلي، ثم رحل إلى فاس وتونس وبجاية وغيرهما، ولقي علماء أجلاء كابن عبد السلام. يراجع: الثغري التلمساني، عبد الله بن محمد، 2008م، ص ص. 101-107. وحلّاه ابن مريم قانلاً: "الحجة، النظّار، الأعلام"، له كتاب "مفتاح الوصول..." و"شرح جمل الخونجي" وغيرهما، توفي 771هـ/1370م؛ نويهض، عادل، 2017م، ص. 247.

⁵⁸ - بن داود، نصر الدين، 2016م، ص. 160.

⁵⁹ - مارسّي، وليم وجورج، 2011م، ص ص. 237، 238.

⁶⁰ - الوزان الفاسي، الحسن، 1983م، ص. 19.

⁶¹ - عبدلي، لخضر، 2011م، ص. 244.

⁶² - ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 130.

⁶³ - التتسي، محمّد، 2011م، الهامش رقم 157، ص. 139.

الرحمان بن خلدون بالقول بأنها ناحية المطمر⁶⁴ وتسمى أيضا بالمدرسة القديمة و"مدرسة ولاد ليمام" باللهجة المحلية⁶⁵، وتُعدّ هذه المدرسة من أهم آثار السلطان أبي حمو الأول العمرانية والجميلة بالمدينة⁶⁶.

يُخيل إلينا أن السبب وراء تأسيس أبي حمو هذه المدرسة هو القيام بواجب الاحتفال والإكرام بمقدم العالمين ابني الإمام⁶⁷ في ضُحبة كاتبه منديل بن محمد الكناني الذي أوصلهما إليه وعرفّه بمقامهما في العلم؛ فاجتبط بهما⁶⁸ حيث "كان يُكثر من مجالستهما للاقتداء بهما..."⁶⁹. في حين يُشير التنسي إلى سبب آخر وهو تعبير السلطان عن شكره لله بنائه للمدرسة المعنية بعد موت عدوه يوسف بن يعقوب المريني، وتعجيل الفرح بنهاية الحصار سنة 705هـ/1305م⁷⁰؛ خاصة وأنه تصادف هذا مع مقدم العالمين ابني الإمام البرشكيين.

ويبدو من النصوص التاريخية المتوفرة أن بداية الأشغال بهذه المدرسة كانت بعد تولّي أبي حمو الحكم مباشرة خلال سنة 707هـ/1307م، أي خلال السنة الأولى من حكمه حسب تقدير أحد الباحثين⁷¹، في حين انتهت الأشغال بها سنة 710هـ/1310م على الأرجح⁷².

فبالإضافة إلى المدرسة؛ ألحق بها بيوت للطلبة⁷³، وإيوانين يمثلين قاعة الدرس، فكان لكل من الإمامين إيوان خاص به للتدريس، كما أنشئ لهما منزلين⁷⁴، بالإضافة إلى المسجد الملحّق بالمدرسة الذي لا يزال قائماً رغم اندثار المجمع المعماري الخاص بالمدرسة ويسمى اليوم بمسجد "ولاد ليمام"⁷⁵، ويؤدي الباب الموجود في الجدار الشمالي إلى المدرسة⁷⁶.

لا ريب أن هذه المدرسة خلّفت أثر علمي عظيم تمثّل في تخرج علماء نوابغ ملئوا المغرب الإسلامي علما، بداية من دروسها الأولى التي وضع أساسها الفقيهيون البرشكيين، حيث ألتفت حولهما طلبة العلم تقاطروا عليهما من كل قطر ينهلون من معارفهما، وفي ذلك قال صاحب "بغية الواد...": "وتركا بتلمسان

⁶⁴ - ابن خلدون، عبد الرحمان، 1992م، ص. 118.

⁶⁵ - مارسّي، وليم وجورج، 2011م، ص. 238.

⁶⁶ - التنسي، محمّد، 2011م، ص. 139.

⁶⁷ - ابن خلدون، يحيى، 1980، ص. 130.

⁶⁸ - ابن خلدون، عبد الرحمان، 2007م، ص. 30.

⁶⁹ - التنسي، محمّد، 2011م، ص. 139.

⁷⁰ - نفسه.

⁷¹ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009-2010م، ص. 35.

⁷² - مارسّي، وليم وجورج، 2011م، ص. 237.

⁷³ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009-2010م، ص. 129.

⁷⁴ - ابن خلدون، 2007م، ص. 118.

⁷⁵ - مارسّي، وليم وجورج، 2011م، ص. 239.

⁷⁶ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009-2010م، ص. 107.

خلقا كثيرا ينتحلون العلم كبيرا وصغيرا، وبلغا منهم مقام التدريس والعلم والفتيا في نوازل نجابة درس ونظر"⁷⁷، ونذكر من هؤلاء على سبيل المثال: الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد النور⁷⁸، وأبو عبد الله المقرئ والفقيه عبد الحق بن سعيد، كما تفقه بهما أبي عثمان سعيد العقباني، والشريف التلمساني الذي بلغ رتبة الاجتهاد⁷⁹، غيرهما كثير.

ب- المدرسة التاشفينية:

تعتبر كثنائي مدرسة بنيّت تلمسان بأمر من السلطان أبو تاشفين الأول، وكانت تُسمى في حياته باسمه "المدرسة التاشفينية" ثم نُعتت بالمدرسة الحديثة بعد وفاته تميّزا لها عن مدرسة أولاد الإمام القديمة⁸⁰ -على الأرجح- وقد بناها بجانب المسجد الأعظم، وولّى عليها الفقيه أبي موسى المشذالي (ت: 745هـ/1344م) أعرف أهل زمانه بمذهب مالك⁸¹، ولعل سبب بنائها هو تخفيف الضغط عن المدرسة القديمة التي صارت لا تكفي لكثرة عدد طلبتها، فلم ير ابن تاشفين بُدّا من تشييد مدرسة أخرى، حسب ما استنتج الباحث محمد بن معزوز⁸²، إلا أن عبد الرحمان بن خلدون يشير إلى سبب آخر ألا وهو منافسة المدرسة الأولى فقال: "وبنى السلطان ابن تاشفين مدرسته بتلمسان، فقدمه (يقصد المشذالي) للتدريس بها يضاهي به أولاد الإمام"⁸³.

على كل؛ تفقّن أبو تاشفين الأول كثيرا في بنائها حيث جعلها كقصرا من قصوره⁸⁴، لذلك سخر لبنائها فنّانين ومهندسين في الزخرفة والتزيين والبناء من الأندلس-المعروفين ببراعتهم في الفن المعماري- فجاءت المدرسة نموذجا فريدا للزخارف التي احتوتها القصور في ذلك العهد، فقال التنسي في هذا: "وحسن ذلك كله ببناء المدرسة الجليلة العديمة النظير... ما ترك شيئا مما اختصت به قصوره المشيّدة؛ إلا وشيّد مثله بها"⁸⁵، فالمدرسة التاشفينية صوّرت كتحفة فريدة تضم عدّة بنايات وأروقة، وكل سبل الراحة للطلبة والمدرّسين، وهي ذات طابع أندلسي خالص⁸⁶.

77 - ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 130.

78 - خطيف، صابرة، 2011م، ص. 352.

79 - نفسه، ص ص. 352، 354.

80 - بن عزوز، محمّد، 2019م، ص. 28.

81 - التنسي، محمّد، 2011م، ص ص. 141، 142.

82 - بن معزوز، محمّد، 2019م، ص. 26.

83 - ابن خلدون، عبد الرحمان، 2007م، ص. 60.

84 - عبدلي، لخضر، 2011م، ص. 244.

85 - التنسي، محمّد، 2011م، ص. 141.

86 - فيلاي، عبد العزيز، 2002م، ص. 141.

أما عن تاريخ إنشائها فلم تذكر الكتابات التاريخية الوسيطة شيء عن ذلك، حيث اكتفت بذكر مؤسسها أبي حمو الأول فحسب، وهذا ما يدل على أن بناءها كان ما بين سنتي حكمه: 718هـ و737هـ/1318م و1337م⁸⁷.

ظلت المدرسة التاشفينية صامدة يُبثّ منها العلم إلى غاية الاحتلال الفرنسي، حيث ذكر الباحثين الأثريين الفرنسيين وليم وجورج مارسى أن القسّ بارجيس شاهد المدرسة كاملة بجمالها وزخرفتها⁸⁸، لكن في عام 1843م/1259هـ تعرضت للهدم الأولي في ملحقاتها الجنوبية والشرقية لتشييد المبنى الأول للبلدية، وفي سنة 1873م/1290هـ تمّ هدم المدرسة بالكامل بحجة توسيع الطريق ومقر البلدية، كما أنشأت بجانبها ساحة كبرى مكان المدرسة سنة 1875م/1292هـ⁸⁹.

ومن المؤكد أنّه قد تخرّج منها عدد هائل من طلبة العلم منذ تأسيسها إلى الفترة الاستعمارية الفرنسية، فالمصادر التاريخية أمّدتنا بأسماء بعض من خريجها بداية من عهد مدرّسها الأول أبي موسى المشذالي؛ كالفقيه أبي عبد الله بن الباروني، والمقرّي الجدّ الذي صار مدرّسا بها لاحقا، كما تولّى التدريس بها أيضا الفقيه سعيد العقباني على عهد أبي حمو موسى الثاني بعدما أخذ عن المشذالي بذات المدرسة⁹⁰.

ت- المدرسة اليعقوبية:

قام ببنائها السلطان أبو حمو الثاني سنة 765هـ/1363م شمال مسجد سيدي إبراهيم المصمودي، وسُميت باليعقوبية نسبة إلى أبي يعقوب (ت: 763هـ/1361م) والد أبي حمو، إذ بناها تخليدا له⁹¹، بعد فترة وجيزة من وفاته، فهي إذن مدرسة جنازية -كما سمّتها الباحثة صابرة خطيف-⁹² حيث ضمت المقبرة الملكية المعروفة باسم روضة آل زيان، وكان أول من نُقل إليها المولى أبي يعقوب المذكور آنفا، وأخويه السلطانين: أبي ثابت وأبي سعيد، كما ضمت رفات علماء مثل الشريف التلمساني وإبراهيم المصمودي.

ويبدو أنّ السبب الرئيسي في بنائها يعود إلى شغفه الكبير بالعلم واهتمامه بالعلماء، حيث تجلّى هذا في تشريفه وتعظيمه للعالم الشريف التلمساني⁹³ الذي استدعاه من فاس وخصه بهذا الصرح العلمي، وهذا ما يؤكّده عبد الرحمان بن خلدون قائلا: "فانطلق [الشريف التلمساني] إلى تلمسان، وتلقاه أبو حمو براجلته وأصهر له ابنته... وبنى له مدرسة"⁹⁴، أما ضمّها لوفات والده وعمّيه فلا نظنه إلا تقليد معماري يروم تخليد

⁸⁷ - ابن خلدون، عبد الرحمان، 2007م، ص. 60؛ التتسي، محمّد، 2011م، ص. 141.

⁸⁸ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009م-2010م، ص. 39.

⁸⁹ - عبدلي، لخضر، 2011م، ص. 245.

⁹⁰ - خطيف، صابرة، 2011م، ص ص. 355، 385.

⁹¹ - عبدلي، لخضر، 2011م، ص. 251.

⁹² - خطيف، صابرة، 2011م، ص. 359.

⁹³ - التتسي، محمّد، 2011م، ص. 179.

⁹⁴ - ابن خلدون، عبد الرحمان، 2007م، ص. 64.

ذكرى الأموات لا يرتقي لحافزية البناء، فالمدرسة يقتصر همّها بالدرجة الأولى على الدرس ونشر العلم كما يظهر من اسمها، وليست ضريح يحفظ رفات مقبوريه.

ومهما يكن من الأمر؛ فإن بناؤها استغرق أكثر من سنة ونصف السنة، حيث انطلق البناء عام 763هـ/1361م وكان تدشينها في الخامس من شهر صفر عام 765هـ/1363م⁹⁵، ويبدو أنها كانت أعجوبة فنية فريدة، حيث انفرد صاحب "زهر البستان..." بوصف شكلها المعماري قائلاً: "...مدرسة مليحة البناء، واسعة الفناء، بُنيت بضروب من الصناعات، ووضعت في أبدع الموضوعات، سَمَكُها بالأصبغة مرفوع، وبساط أرضها بالزَّليج مرسوم، وجنَّاتها بالصَّناعة الجبَّاسية مُوشَّاة، وزَّليج أزهارها من أبدع الشَّيْء... صنع فيها صهريج مستطيلاً وعلى طرفيه من الرِّخام خَصَّتَان تَطْرُدَان مَسِيلاً، فَيَا لَهَا مِنْ بُنْيَةٍ مَا أَبْهَجَهَا..."⁹⁶.

ومما يُؤسف له أن هذه المدرسة قد تهدمت في العهد التركي، وهناك روايات تقول أنها صمدت إلى غاية العهد الاستعماري الفرنسي والذي استخدمها ككنة عسكرية⁹⁷، في إطار سياسة استعمارية غاشمة استهدفت الثقافة الإسلامية وإحلال محلها الثقافة الفرنسية.

ولا شك أن المدرسة تركت بصمتها في الحركة العلمية والفكرية تلمسان خاصة والمغرب الإسلامي على العموم؛ حيث تذكر المصادر توافد طلبة العلم من كل الأقطار على دروس الشيخ الشريف التلمساني في التفسير، إذ استهوت حتى سلطان الزيانيين وقتئذ أبي حمو الثاني⁹⁸، الذي لم تشغله شؤون الحكم عن حضورها، هذا على غرار الفقه والأصول وعلوم أخرى⁹⁹.

ث - مدرسة العُباد (سيدي أبي مدين):

شُيِّدت مدرسة العُباد في أيام استيلاء المرينيين على تلمسان، تحديداً في عهد السلطان أبي الحسن المريني، الذي بناها بقرية العُباد¹⁰⁰ شرق مدينة تلمسان، وهذا المكان كان يحوي مدافن للعلماء والأولياء أولهم الغوث أبي مدين شُعيب الصوفي الشهير (ت: 594هـ/1197م)، ومنذ ذلك الحين صار الموقع ملتقى ومجمع المتصوفة والمريدين والمنقطعين للعبادة، ومدفن للكثير من العلماء والمتصوفة¹⁰¹.

⁹⁵ - ابن خلدون، يحيى، 1982م، ص. 104.

⁹⁶ - مجهول، 2012م، ص.ص. 211، 212.

⁹⁷ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009م-2010م، ص. 49.

⁹⁸ - التنسي، محمّد، 2011م، ص. 180.

⁹⁹ - خطيف، صابرة، 2011م، ص. 364.

¹⁰⁰ - العُباد: قرية بمثابة ربض لتلمسان، تقع بالجنوب الشرقي للمدينة، وسُميت بهذا الاسم لكثرة قبور العلماء المتصوفة بها، وموقعها فوق جبل. يراجع: الوزان الفاسي، الحسن، 1983م، ص. 20.

¹⁰¹ - بن عزوز، محمّد، 2019م، ص. 26.

فأول ما أمر بانجازها السلطان المريني هو إعادة بناء معالم مدينة المنصورة¹⁰² التي اختطها عمه أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق وخربها بنو عبد الواد، ثم أمر ببناء مسجد قرب ضريح أبي مدين بالعباد، عام 744هـ/1343م¹⁰³، كما أمر ببناء المدرسة المقصودة بالقرب من المسجد¹⁰⁴ فلا تبعد عنه إلا سبع أمتار¹⁰⁵، وكان هذا عام 747هـ/1346م¹⁰⁶ (الصورة 01).

سُميت هذه المنشأة المعمارية بمدرسة العباد نسبة إلى قرية العباد التي بنيت فيها، كما سُميت أيضا بمدرسة سيدي أبي مدين لأنها أنجزت بالقرب من ضريح أبي مدين شعيب، ويُطلق عليها أيضا اسم المدرسة الخلدونية نسبة إلى المؤرخ الشهير عبد الرحمان بن خلدون الذي انتصب للتدريس بها¹⁰⁷.

وهذه المدرسة لا تزال قائمة شامخة، وهي تمتاز بزخرفتها وفنّها المعماري الراقي ذو الأقواس المنكسرة والأجر الملون بالأخضر، فتعدّ بحق أجمل مدرسة بالمغرب الأوسط، تتكون من طابقين: السفلي يحتوي على عشر حجرات، أما العلوي فيتضمّن ثمانى حجرات، وكل حجرة تتسع لشخصين، يبدو كأنها كانت مخصصة للطلبة الداخليين، كما توجد حجرات عند مدخلها، كما كانت هذه مدرسة مزوّدة بمخازن ومرافق مياه ومراحيض وحمامات... وغيرها من مرافق الراحة، أما بابها الرئيسي الضخم فوصف بالاتقان في الصنع ودقة في الزخرفة، يتوسطه مدخل صغير¹⁰⁸.

يمكن الجزم أن مدرسة العباد تحفة فنية رائعة، ظلّت تمارس وظيفتها طيلة خمس قرون من الزمن، لم يدخر السلطان أبي الحسن أي جهد في تزيينها إذ لا تزال صامدة شامخة إلى اليوم.

¹⁰² - المنصورة هي مدينة بناها السلطان أبو يعقوب يوسف بن عبد الحق المريني أثناء حصاره لتلمسان، سنة 702هـ/1302م، وهي تقع بالقرب من السور الذي ضربه لحصار المدينة، ضمت مباني واسعة ومنازل، وقصور أنيقة، وحمامات وفنادق ومارستان، وجامع وأسواق، حتى صارت من أعظم أمصار المغرب، لكن خربها بنو عبد الواد سنة 705هـ/1305م. يراجع: ابن خلدون، يحيى، 1980م، ص. 210؛ مارسى، وليم وجورج، 2011م، ص. 247، 259.

¹⁰³ - حاجيات، عبد الحميد، 1982م، ص. 63.

¹⁰⁴ - ابن مرزوق الخطيب، محمد، 2011م، ص. 406.

¹⁰⁵ - بن عزوز، محمد، 2019م، ص. 28.

¹⁰⁶ - بن عزوز، محمد، 2019م، ص. 28؛ حاجيات، عبد الحميد، 1982م، ص. 64؛ إلا أنّ الباحث لخضر عبدلي ذكر أنها تأسست عام 748هـ/1347م؛ يراجع: عبدلي، لخضر، 2011م، ص. 246.

¹⁰⁷ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009م-2010م، ص. 42.

¹⁰⁸ - عبدلي، لخضر، 2011م، ص. 246.



الصورة 01: مدرسة العباد أو الخلدونية بتلمسان. عن: <https://mait.dz/detail-produit.php?id=77>

ج-مدرسة سيدي الحلوي:

يُعزى بناء هذه المدرسة إلى السلطان المريني أبي عنان وقت استلائه على تلمسان سنة 754هـ/1454م، الذي شيدّها بجانب ضريح الولي الصالح أبي عبد الله الشوذي الملقب بالحلوي (المتوفى أوائل القرن 7هـ/13م)، ولقد جاء انجاز المدرسة ضمن مشروع المجمع العمراني الذي أمر ببناؤه قرب ضريح المذكور أنفاً، والذي يشمل المسجد الذي وصفه الرحالة ابن الحاج النميري (ت: بعد 774هـ/1372م) قائلاً: "جامع الخطبة الأعظم... وهو من أجمل الجوامع"¹⁰⁹ ثم زاوية منفسحة الأرجاء مزدانة بقبة مرتفعة (الصورة 02)¹¹⁰.

ويعود السبب الرئيس في بناء أبي عنان للمدرسة هو تخليد لذكرى الشيخ الحلوي، إذ كان كثير التأثير به وباتباع طريقته الشوذية كابن خميس الشاعر إذ أظهر عناية فائقة بشعره¹¹¹، أما عن تاريخ تأسيسها فأكدت المصادر الأثرية بوجود منقوشة أثرية الخاصة بجامع سيدي الحلوي -نقلها الأثري شارل بروسكلار - أن أشغال بنائه كانت في حدود سنة 754هـ/1353م¹¹² أو بعدها بقليل.

تقع المدرسة عند ضريح سيدي الحلوي والموجود في الجهة الشمالية للمدينة، وبالتحديد عند باب الحلوي، وهي متصلة بالزاوية الملتصقة بالمسجد من جهة الجوف، وفي رواية منفردة يصفها لنا ابن الحاج النميري قائلاً: "... والمدرسة متعدّدة البيوت، رفيعة السموت، بديعة النعوت، وبها أبواب تشرع إلى ديار كاملة المنافع، حسنة المقاطع معينة للرؤساء القائمين بالوظائف المتولين لأرفاء البادي والعاكف"¹¹³، ويزيد الرحالة

¹⁰⁹ - ابن الحاج النميري، إبراهيم، 1990م، ص. 488.

¹¹⁰ - نفسه.

¹¹¹ - عمارة، فاطمة الزهراء، 2009م-2010م، ص. 45.

¹¹² - مارسى، وليم وجورج، 2011م، ص. 403.

¹¹³ - ابن الحاج النميرين إبراهيم، 1990م، ص. 488.

الأندلسي ابن الصَّبَّاح المدجَّن (من أهل القرن الثامن/ الرابع عشر للميلاد) في وصفها بعد زيارته لها فقال: "ومدرسة سيدي الحلوي جنة في الأرض فيها الإطعام من الحلال الموقوف من أوقاف الصالحين"¹¹⁴. رغم رعاية السلطان أبي عنان لها، إلا أنه لم تكن لها شهرة كبيرة مقارنة بالمدارس التلمسانية الأخرى التي عاصرتها¹¹⁵، إذ لا نجد لها حضور قوي في المتون المصدريّة على عكس المدارس الأخرى.



الصورة 02: مسجد سيدي الحلوي بتلمسان. عن: <https://al-ain.com/article/masjid-sidi-el-haloui-tlemcen-algeria>

ح- مدرسة الحسن بن مخلوف أبركان:

تُنسب هذه المدرسة للسلطان الزياني أبو العباس أحمد المعتمد بالله الملقب بالعادل (834هـ- 1437/866م)، الذي أنشأها خصيصاً للعالم الصوفي الحسن بن مخلوف أبركان (ت: 868هـ/1463م)، رغبة في نيل بركته والتقرب منه، حيث أكد التنسي عمق تأثيره به وأنه "كانت له عناية عظيمة (به) يكثر من زيارته، ويقتبس من إشارته، ومدار أكثر أموره عليه، وبنى بزاويته المدرسة الجديدة، وأوقف عليها أوقافاً جليلة"¹¹⁶.

رغم أهمية المدرسة ومكانة شيخها إلا أن المصادر الوسيطة لم تذكر لنا تاريخ تأسيسها، مما يجعلنا نكتفي بالقول أنها بُنيت بين سنتي 834هـ/1430م و866هـ/1461م، والتي هي فترة حكم أحمد العادل.

خ- مدرسة منشار الجلد:

لم تذكر المصادر للأسف مكان وتاريخ إنشائها، ولكن يرجح أنها سُميت باسمها هذا نسبة إلى منشار الجلد المجاور لها بتلمسان، وكان يُدرس بها الشيخ الصوفي محمد بن عمر الهوّاري (ت: 843هـ/1439م)¹¹⁷.

¹¹⁴ - ابن الصَّبَّاح المدجَّن، عبد الله، 2008م، ص. 94.

¹¹⁵ - بن عزوز، محمّد، 2019، ص. 30.

¹¹⁶ - التنسي، محمّد، 2011م، ص. 248.

¹¹⁷ - رزيوي، زينب، 2015-2016م، ص. 126.

4- موقف الفقهاء من نشاط المدارس:

باعتبار المدرسة بدعة مُحدثّة بالعالم الإسلامي كونها لم تظهر لا في عهد الصحابة ولا التابعين؛ فإنّه سريعاً ما وقع صدام بين الفقهاء في مشروعيتها بين موقفين متعارضين أحدهما مؤيّد لها، وموقف آخر معارض بشدّة لها، وكل منهما له تسلّح بعدّة اعتبارات يتكئ عليها في طرحه، وسنحاول عرضهما بإيجاز كالآتي:

أ-الموقف المؤيّد لبناء المدارس بتلمسان:

إنّ من أشدّ المدافعين عن مشروعية المدرسة بالمغرب والمنادين بأفضلية نشاطها العلمي-وهو الفقيه ابن مرزوق الخطيب العجيسي أحد المتأثرين بالسياسة المرينية في هذا المجال والمقربين لسلطينهم والمندمجين في سلك وظائفهم، حيث وضّح موقفه هذا بصراحة من كتابه "المسند..." الذي عنّون فيه باباً كاملاً في هذا الشأن سمّاها: "في إنشاء المدارس"، وقسمه إلى فصلين، تناول في أولهما أهمية المدرسة، وفي ثانيهما استعرض جهود أبي الحسن في بناء المدارس¹¹⁸، فوقف ابن مرزوق من خلاله مدافعاً بشدّة عن رأيه بشأن إنشاء المدارس، التي اعتبرها من أسباب حصول المعونة وكفاية المؤونة التي بها ترتفع المعذرة وتقطع الحجة عن النقاعس عن طلب العلم والتعرّب في سبيله¹¹⁹، إلّا أنّه ترفع عن ذكر الحجج على مشروعيتها بذريعة أنّه "...لا حاجة إلى الاستدلالات على ذلك"¹²⁰، وبمسلكه هذا لم يكلف نفسه التشوّف والكشف عن مخاطرها على التحصيل القاصر للعلوم من جهة، ووقود الطالب عن الرحلة إلى مراكز العلم المنتشرة في العالم الإسلامي وملاقاة رجال العلم من جهة ثانية.

ويؤكد تارة أخرى في الفصل الثاني من الباب نفسه -بعد استعراضه للمدارس التي شيّدها أبي الحسن المريني والأوقاف التي خصّصها لها- على أهميتها في نشر العلوم والمعارف من خلال كثافة إقبال الطلبة عليها زمنئذ فقال: "...فلا جرم كثرتها بسبب ذلك (يقصد المدارس) طلب العلم، وعدد أهله..."¹²¹.

كما يمكن تصنيف كل من ساهم في التدريس بها من المؤيدين لها؛ وإلّا لما وافقوا على ذلك أساساً، خاصة وأن معظمهم من المالكية المعروف عنهم شدّتهم في مواجهة الباطل، كابن الإمام -عبد الرحمان وعيسى- الذين لم يُبدوا أيّة معارضة بالتدريس في المدرسة القديمة تحت رعاية السلطان أبي حمو الأول -كما قدّمنا- أما الوافد البجائي أبي عمران موسى المشدالي انتصب سريعاً للتدريس بالمدرسة التاشفينية بكل رضى وسرور، كما لم يمتنع الفقيه أبي عبد الله الشريف التلمساني -المعروف بجرأته على السلاطين في الصدع بأحكام الشريعة ولو كرهوا سماعها- التدريس بالمدرسة اليعقوبية، هذا على غرار أبي عثمان سعيد العقباني الذي اشتغل بالتدريس في أكثر من مدرسة، وآخرون كثير.

¹¹⁸ - ابن مرزوق الخطيب، محمّد، 2011م، ص ص. 405، 407.

¹¹⁹ - نفسه، ص. 405.

¹²⁰ - نفسه.

¹²¹ - ابن مرزوق الخطيب، محمّد، 2011م، ص. 407.

ويبدو أنّ هذا الموقف تأسس بناء على ما عاين أصحابه من خدمات الحينية التي توفرها المدرسة؛ بغض النظر عن مخاطرها البُعدية، والمتمثلة أساساً في: نشر العلم بفرعيّ العقلي والنقلي، ورفع الغبن ومشقة الترحال في سبيل طلب العلم من منابعه من خلال توفير المأكل والإيواء وغيرها من الخدمات، وتسهيل احتكاك العلماء فيما بينهم، وبالتالي التعاطي في المسائل العلمية المعقدة التي كانت لا بد لها من رحلة إلى جهابذة العلم، فضلاً عن مساهمتها في تكوين الأطر العلمية، ناهيك عن تقريبها بين العلماء والسلطين الذين كانوا يحضرون مجالس العلم بالمدارس التي أنشئوها، ويشاركون طلبتها في تلقي العلوم¹²²، مثل أبي حمو الثاني الذي كان لا يتحرّج من الجلوس على الحصير أثناء سماع الدرس تواضعاً منه¹²³.

ب- الموقف المعارض لبناء المدارس:

على غرار بعض علماء المشرق الرافضين لهذه المنشأة المُحدثة عندهم، فقد رفع عدد من علماء المغرب الأوسط راية المعارضة هم الآخرون ببلادهم، رفضاً لوصاية السلطة على التعليم التي تجذب إليها الطلبة كإغراء منها إليهم لما تغدقه عليهم من جرايات بنية مبيتة استهدفت العلماء وأتباعهم الطلبة-الذين هم علماء الغد- فيخضعون لمذهبها وسياستها، مبتعدين عن منهج أهل العلم الأصيل، الذي يأبى الخضوع لأهواء الأمراء والسلطين، ولا يتذلل إلا لأحكام الشريعة التي طالما دعت إلى الإكثار من الترحال وملقاء العلماء أينما حلّوا وارتحلوا، والاصطبار على مشقته في سبيل كسب العلوم¹²⁴.

ولعلّ رأس العلماء المعارضين للمدارس في المغرب الإسلامي في المائة الثامنة للهجرة/الرابع عشر للميلاد هو الشيخ محمد بن إبراهيم الأبلّي الذي كما يبدو أنه لم يكن يعارض المدرسة في حد ذاتها كمؤسسة أو صرح علمي، أو بنائها من الأساس، أو نشاطها الهادف إلى نشر المعرفة، وإنما استنكر -بكل بساطة- تدخل السلطة في توجيه التعليم ليكون حسب مصلحتها، وكأنه تخوّف من طلب العلم لدنيا يصيبها المتعلم كالوظائف وكسب المال والشهرة؛ لا لرغبة في التعلم واكتساب مزيد من ملكات العلم وغيرها من مسالك طلب العلم مما يقربه إلى الله، ومن جهة أخرى يعتقد أن المدرسة تقعد الطالب وتنشّطه عن الرحلة والتي هي مسلك ضروري وأصيل في طلب المعرفة واكتساب السند والمرويات وتبادل الإجازات.

ففي هذا الصدد؛ نقل لنا ابن مريم في "بستانه" رواية للمقرّي الجدّ عن أستاذه الأبلّي، تبيّن موقفه الصريح إذ قال: "...إنّما أفسد العلم كثرة التأليف، وأنّما أذهبه بنیان المدارس... وذلك أن التأليف نسخ الرحلة، وهي أصل مع العلم..."¹²⁵ أي أنّها تحبس الطالب بالإغراءات كالمسكن والمعاش وغيرها، فيقعد عن مشقة الرحلة ولقاء المشيخة، ويضيف بوضوح قائلاً: "وأما البناء فلأنه يجذب الطلبة إلى ما يُرتب فيه من الجرايات، فيقبل بها من يُعينه أهل الرئاسة للإجراء والإقراء منهم، أو من يرضى لنفسه الدخول في حكمهم، ويصرفونها

¹²² - ريزوي، زينب، 2015م-2016م، ص. 143.

¹²³ - التتسي، محمد، 2011م، ص. 180.

¹²⁴ - خطيف، صابرة، 2011م، ص. 351.

¹²⁵ - ابن مريم التلمساني، أبي عبد الله محمد، 2014م، ص. 384.

عن أهل العلم حقيقة، الذين يدعون إلى ذلك، وإن دعوا لم يجيبوا، وإن أجابوا لم يوفوا بما يطلبوا من غيرهم¹²⁶.

ومن الواضح أنّ الألبلي بموقفه هذا لم يكن منفرداً، وإنّما سار على أثره في ذلك تلميذه أبي عبد الله المقرّي الذي رغم أنه درّس بالمدرستين القديمة والحديثة بتلمسان؛ والمتوكلية بفاس؛ إلاّ أنّه أنتقد نتائج التبعية العلمية المترتبة عن المدارس النظامية بالمغرب الأوسط، والتي أسند الإقراء فيها حسبه إلى من لا يعرف الرسالة أصلاً ولم يفتح كتاباً قط، وسبب ذلك أنها صارت بالتوارث والرئاسات حسب قوله¹²⁷، ويظهر أن ملاحظات المقرّي نابعة عن تجربة حيّة صادر عن فقيه سخر حياته للتدريس والتأليف معاً.

وينضم إلى هذا الموقف أيضاً المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون -الذي درّس بمدرسة العباد بتلمسان؛ والقمحية بمصر لاحقاً وغيرهما- إلاّ أنّه أنتقد بناء المدارس انتقاداً لاذعاً في مقدمته، حيث حملها مسؤولية قلّة الزاد المعرفي وعرقلة الإبداع، فنتج عنه رسوخ التقليد، الذي شاع بالمغرب الإسلامي خلال القرنين 08 و 09 الهجريين/14 و15م، والسبب -حسب رأيه- تعطيل الرحلة العلمية والتي اعتبرها مزاد كمال في التعليم بقاء المشيخة في مختلف أقطار العالم الإسلامي¹²⁸.

إن عبد الرحمان بن خلدون والمقرّي وأستاذهما الألبلي ما هم إلاّ ثلّة قليلة من الذين رفضوا الخضوع للتعليم الرسمي وشجعوا التعليم الشعبي، حجتهم توجي ببعدهم نظرهم وتشوّفهم القوي في قراءة مخاطر المدارس على منظومة التعلم الأصل من جهة، ومن تدخل السلطة وتوجيه رسالة العلم لمصلحتها من جهة أخرى، وما الأوضاع التي صارت إليها الحركة العلمية فيما القرن الثامن للهجرة/ الرابع عشر للميلاد من الانحطاط العلمي ومن رسوخ التقليد وتوريث المناصب العلمية في المدارس، إلاّ دليل قاطع على صدق موقفهم.

الخاتمة:

وفي الأخير يمكن الخروج من هذه الورقة البحثية بمجموعة من النتائج نلخصها في النقاط الآتية:

- 1- لقد تأثر المغرب الأوسط بما يحدث في المشرق في مختلف المجالات لا سيما تطوّر ونشأة المؤسسات العلمية كالمدراس التي استسخها سلاطين بني زيان كأبي حمو الثاني.
- 2- تضافرت جملة من العوامل في نشأة المدارس بتلمسان، منها ماله علاقة بالسلطان مثل الميول العلمي، ومنها ما فرضته المنافسة السياسية مع دول الجوار، ومنها ما يتعلق بالولع بالتقليد الراسخ.
- 3- ارتبطت المدارس الزيانية كثيرة بعلمائها في نشأتها الأولى، فلا نفع لهيكل مادي دون وجود كفاءة بشرية.
- 4- المدارس الزيانية تأثرت كثيراً بسياسة السلاطين، إذ كانوا هم مديروها وموجهو سياستها العامة والمنفقون عليها.

¹²⁶ - نفسه.

¹²⁷ - رزيوي، زينب، 2015م-2016م، ص. 142.

¹²⁸ - ابن خلدون، عبد الرحمان، 2010م، ص. 647.

5-موقف الفقهاء الزيانيين من المدارس كان بين التأييد والمعارضة، إلا أن المدارس ظلت تمارس نشاطها العلمي.

6-تتحمل المدرسة نسبة كبير من ذلك التراجع والتقهر العلمي الذي أصاب الغرب الإسلامي بكامله، كونها كانت سبب توقف الرحلة العلمية وانقطاع السند العلمي، وكثرة التأليف وظهور ظاهرة المختصرات والشروحات، فضلا عن توارث رئاسة المدارس لمن لا همّ لهم بالعلم.

قائمة الببليوغرافيا:

1. ابن الحاج النميري الأندلسي، إبراهيم، 1990م، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق: محمد بن شقرون، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
2. ابن الشّماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد، 1984م، الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ليبيا.
3. ابن الصّبّاح المدجّن الأندلسي، الحاج عبد الله، 2008م، أنساب الأخبار وتذكرة الأخيار، تحقيق: محمد بنشريف، ط1، دار أبي الرقراق، الرباط، المغرب.
4. ابن القنفذ القسنطيني، أبو العباس أحمد بن الحسين، 2015م، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي وعبد المجيد التركي، د.ط، دار مداد يونيفار سيتي براس، قسنطينة، الجزائر.
5. ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، أبي زيد عبد الرحمان بن محمّد، 1951م، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، د ط، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، مصر.
6. ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، أبي زيد عبد الرحمان بن محمّد، 1992م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
7. ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي، أبي زيد عبد الرحمان بن محمد، 2010م، مقدمة، تحقيق: مجدي فتحي السيد، د.ط، دار التوفيقية للتراث، القاهرة.
8. ابن خلدون، أبو أكرياء يحيى الحضرمي، 1980م، بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حاجيات، د.ط، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.
9. ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد، 1994م، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج2، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان.
10. ابن مرزوق الخطيب التلمساني، أبي عبد الله محمد بن أحمد العجيسي، 2011م، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خسوس بيغرا، تقديم: محمود آغا بوعباد، د.ط، موفم للنشر، الجزائر.

11. ابن مريم المليتي التلمساني، أبي عبد الله محمد، 2014م، البستان في ذكر العلماء والأولياء من تلمسان، تحقيق: عبد القادر بوبايا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
12. ابن منظور الإفريقي، أبو عبد الله محمد المصري، 2014م، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان.
13. أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد، 1840م، تقويم البلدان، تصحيح وطباعة: رينود وماك كويكي ديسلان، باريس، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان.
14. أبو حمو موسى الزياتي، 1862م، واسطة السلوك في سياسة الملوك، د.ط، مطبعة الدولة التونسية، تونس.
15. الإدريسي، أبي عبد الله محمد بن عبد الله الحسني، 2002م، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ج1، تحقيق: حسين مؤنس وآخرون، د.ط، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.
16. الباديسي، عبد الحق بن إسماعيل، 1993م، المقصد الشريف الحسن والمنزع اللطيف بالتعريف بصلحاء الريف، تحقيق: سعد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب.
17. بن داود، نصر الدين، 2016م، أسر العلماء بتلمسان ومساهماتها في حضارة بني زيان، د.ط، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر.
18. بن عزوز، محمد، 2019م، عقد الألماس في بيوتات علماء تلمسان بفاس، دار الأمان، الرباط، المغرب-دار ابن حزم، لبنان-عالم المعرفة، المحمدية، الجزائر.
19. التنسي، محمد بن عبد الله بن عبد الجليل، 2011م، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان-مقتطف من "نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق: محمود آغا بوعيداد، موفم للنشر بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر.
20. الثغري القسي التلمساني، عبد الله بن محمد، 2008م، مناقب التلمسانيين، تحقيق: قندور بن محمد الماحي، ط1، دار الوعي، الجزائر.
21. حاجيات، عبد الحميد، 1982م، أبو حمو موسى الزياتي -حياته وأثاره، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
22. خطيف، صابرة، 2011م، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، ط01، دار الجسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر.
23. رزيوي، زينب، 2015م-2016م، العلوم والمعارف الثقافية بالمغرب الأوسط ما بين القرنين 07هـ و09هـ/3م-15م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الإسلامي الوسيط غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس.
24. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب، 1964م، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق، عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

25. الطرطوشي، أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري، 1994م، سراج الملوك، تحقيق: محمد فتحي أبو بكر، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، مصر.
26. الفيومي، أحمد بن محمد المقري، د.ت، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج1، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ط2، دار المعارف، لبنان.
27. المصري، مبروك، 2004م، «المدرسة الفقهية التواتية»، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، 01، 01، ص ص. 98-115.
28. المقرئزي، تقي الدين أحمد، 1998م، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، ج3، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر.
29. الوزان الفاسي، حسن بن محمد، 1983م، وصف إفريقيا، ج02، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط02، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
30. عبدلي، لخضر، 2011م، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ط01، دار ابن نديم، وهران، الجزائر.
31. عمارة، فاطمة الزهراء، 2009م-2010م، المدارس التعليمية بتلمسان خلال القرنين (08هـ-09هـ/14م-15م)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة وهران.
32. فيلاي، عبد العزيز، 2011م، تلمسان في العهد الزياني، ط01، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002م.
33. لعرج، عبد العزيز، 2001م، «المدارس الإسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها-القسم الأول»، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، 01، 01، ص ص. 112-124.
34. مارسى، وليم وجورج، 2011م، المعالم الأثرية العربية لمدينة تلمسان، ترجمة: مراد بلعيد وآخرون، دار الأصالة، الجزائر.
35. مجهول، 2012م، زهر البستان في دولة بني زيان، تقديم: محمد بن أحمد باغلي، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر.
36. نويهض، عادل، 2017م، معجم أعلام الجزائر، د.ط، دار الوعي، روية، الجزائر.

37. <https://al-ain.com/article/masjid-sidi-el-haloui-tlemcen-algeria>

38. <https://mait.dz/detail-produit.php?id=77>